

الدرس التاسع والعشرون

خصائص الأنبياء.

- تعدُّ الأنبياء .
- عدد الأنبياء .
- النبوة والرسالة .
- الانبياء أولو العزم .
- ملاحظات .

تعدد الأنبياء

لقد بحثنا حتى الآن في ثلاث مسائل أساس من مسائل النبوة، ووصلنا لهذه النتيجة، مع ملاحظة قصور المعرفة البشرية من الوصول لكل المعلومات والمعارف المؤثرة في السعادة الدنيوية والأخروية، فإن الحكمة الإلهية تقتضي تعيين نبي أو أنبياء يتم تعليمهم ببعض الحقائق الضرورية ليبلغها أولئك لسائر البشر بصورة سليمة، دون أن تتعرض لأي تشويه وتلاعب. ومن ناحية أخرى، على الرسل إبلاغها للآخرين بصورة تقيم الحجّة عليهم، وأفضل الطرق وأكثرها شمولية في هذا المجال هو اظهار المعجزة.

وقد أثبتنا هذه المفاهيم بالبراهين العقلية، ولكن هذه البراهين لا تدل على ضرورة تعدد الانبياء والكتب والشرائع السماوية. فإذا افترضنا أن ظروف الحياة البشرية بالصورة التي يمكن فيها لنبي ما أن يبيّن كل ما يحتاج اليه البشر، حتى نهاية العالم، بحيث يتمكن كل فرد أو جماعة - عبر التاريخ - من التعرف على وظيفته من خلال رسالة هذا النبي، فإن ذلك لا يكون مخالفاً لهذه البراهين.

ولكننا نعلم:

أولاً: إن عمر الانسان - أي انسان كان ومنهم الأنبياء - محدود وقصير، ولا تقتضي حكمة الخلق بقاء النبي الأول حياً حتى نهاية العالم، ليهدي جميع البشر بشخصه.

وثانياً: الملاحظ عدم اتحاد وتشابه ظروف الحياة البشرية في مختلف الأزمنة والأمكنة، وهذا الاختلاف في الظروف، وخاصة مع ملاحظة التعقيد التدريجي الذي تتعرض له العلاقات الاجتماعية، يمكن أن يكون له تأثيره في

كيفية الأحكام والقوانين الاجتماعية وكميَّتها، وربما فُرض - أحياناً - تشريع قوانين جديدة، وإذا فُرض بيان مثل هذه القوانين وإبلاغها بوساطة نبيٍّ مبعوث قبل آلاف السنين، لكان مثل هذا البيان والابلاغ عبثاً ولغواً، كما يشقُّ الحفاظ عليها، ويعسر تنفيذها في مجالاتها الخاصة.

ثالثاً: في الكثير من الأزمنة والعصور السابقة، لم تكن وسائل الاعلام وإمكانات النشر متوفرة لدعوة الأنبياء بالصورة التي يمكن للنبيِّ إيصال رسالته لجميع البشر في العالم.

رابعاً: إنَّ تعاليم النبي قد تتعرَّض - في وسط الأمة التي تلقت هذه التعاليم منه وبمرور الزمن، ونتيجة لشتَّى العوامل - الى التحريف^(١) والى تفسيرات منحرفة خاطئة لها، وبعد فترة من الزمن ربَّما تتحوَّل الى دين مشوَّه ومنحرف، كما هو الملاحظ في دين عيسى التوحيدِيِّ حيث تحوَّل لدين التثليث.

ومن خلال هذه الملاحظات تتضح الحكمة في تعدُّد الأنبياء (ع) واختلاف الشرائع السماويَّة حول بعض الأحكام العباديَّة والقوانين الاجتماعية^(٢) بالرغم من اتحادها في اصول العقائد والاسس الأخلاقيَّة، واشترائها في اصول الأحكام الفرديَّة والاجتماعيَّة^(٣) فالصلاة - مثلاً - مشرَّعة في جميع الأديان السماويَّة، وإن اختلفت الأمم في طريقة أدائها او في قبلتها، وكذلك الزكاة والانفاق، فهي مشرَّعة في كل الشرائع، وإن اختلفت في مقدارها ومواردها.

وعلى كلِّ حال، يجب على كلِّ انسان الايمان بجميع الأنبياء، وعدم التفريق بينهم، في مجال الاعتقاد والتصديق بالنبوَّة، وكذلك التصديق بكلِّ

(١) للتعرف على نماذج من هذه التحريفات يراجع كتاب (الهدى الى دين المصطفى) للعلامة الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي.

(٢) المائدة/٤٨، والحج/٦٧.

(٣) البقرة/١٣١ - ١٣٧، وآل عمران/١٩ - ٢٠.

الرسالات والتعاليم النازلة عليهم^(١)، وعدم التفريق بينها، ولا يحقُّ تكذيب أيِّ نبيٍّ منهم، أو تكذيب أيِّ حكم من أحكامهم، بل إنَّ تكذيب واحد منهم، بمثابة تكذيب لجميعهم، وإنكار حكم الهيِّ واحد يعتبر إنكاراً لجميع أحكام الله^(٢)، وبطبيعة الحال فإنَّ الوظيفة العمليَّة لكلِّ أمة، في أيِّ زمان: اتباع التعاليم العمليَّة، لنبي تلك الأمة وذلك الزمان.

والملاحظة التي يلزم التأكيد عليها هنا: إنَّ العقل الانسانيَّ وإن أمكنه التوصل من خلال الملاحظات السابقة الى ادراك الحكمة في تعدُّد الأنبياء والكتب السماويَّة، والاختلاف بين الشرائع السماويَّة، ولكنَّه لا يمكنه التوصل لمعيار دقيق، لتعدُّد الانبياء والشرائع السماويَّة، بحيث يمكنه الحكم وفقه في أيِّ زمان أو مكان يلزم بعثة نبيٍّ جديد، أو شريعة جديدة، وكلُّ ما يمكنه فهمه عدم الضرورة لبعثة نبيٍّ آخر، فيما لو كانت الظروف التي يعيشها البشر بالصورة التي تصل معها دعوة الأنبياء لجميع البشر، وتبقى معها الرسالة سليمة ومصونة للمستقبل، وعدم حدوث تغير كبير في الظروف الاجتماعيَّة يفرض تشريعات أساس جديدة، وتغيُّراً في الأحكام والقوانين الموجودة.

عدد الأنبياء

أشرنا سابقاً الى أنَّ العقل لا يملك طريقاً يثبت من خلاله عدد الأنبياء والكتب السماويَّة، ولا يتيسَّر إثبات أمثال ذلك إلَّا من طريق الدليل النقلي. والقرآن الكريم وإنَّ اكَّد أنَّ الله تعالى بعث لكلِّ أمة نبياً^(٣)، ولكنَّه لم يحدِّد عدد الأمم وأنبيائهم، وأنَّما اقتصر على ذكر أسماء عشرين أو أكثر بقليل، من الأنبياء (ع) وأشار لقصص وحكايات بعض منهم دون ان يصرح بأسمائهم^(٤).

(١) الشورى/١٣، والنساء/١٣٦ و ١٥٢، وآل عمران/٨٤ - ٨٥.

(٢) النساء/١٥٠، والبقرة/٨٥.

(٣) فاطر/٢٤، النحل/٣٦.

(٤) البقرة/٢٤٦ و ٢٤٨.

ولكن ورد في بعض الروايات عن أهل بيت العصمة والطهارة (ع)^(١)، ان الله بعث مئة وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء، وأن سلسلة الأنبياء تبدأ من آدم أبي البشر (ع) وتختتم بمحمد بن عبدالله (ص).

وبالإضافة لاطلاق تسمية (النبي) على أنبياء الله، وهو يدل على هذا المنصب الالهي الخاص، فإنهم يمتلكون صفات أخرى أمثال (النذير) و (المنذر) و (البشير) و (المبشّر)^(٢)، واعتبروا من (الصالحين) و (المخلصين) وقد بلغ بعضهم مقام (الرسالة) وورد في بعض الروايات أن عدد الرسل الالهيين ثلاثمئة وثلاثة عشر^(٣).

ولذلك نبحث هنا عن مفهوم النبوة والرسالة، والفرق بين النبي والرسول.

النبوة والرسالة

إن لفظة (الرسول) بمعنى (حامل الرسالة)، ولفظة النبي إذا كانت مشتقة من مادة (نبا) فالنبي بمعنى (صاحب الخبر المهم)، وإذا كانت مشتقة من مادة (نبو) فهو بمعنى: (صاحب المقام الرفيع والشريف).

ويعتقد بعض الناس أن مفهوم النبي أعم من مفهوم الرسول وذلك لأن النبي هو الذي نزل عليه الوحي من الله، سواء كان مأموراً بالابلاغ أم لم يكن بينما الرسول هو المأمور بإبلاغ الوحي أيضاً.

ولكن هذا التفسير غير صحيح، وذلك لأنه ذكرت في بعض الآيات الكريمة صفة (النبي) بعد صفة (الرسول)^(٤)، مع أنه وفق التفسير المذكور، يلزم تذكر الصفة التي تتضمن المفهوم العام وهي (النبي) قبل ذكر الصفة الخاصة

(١) يلاحظ كتاب الاعتقادات للصدوق، وبحار الأنوار / ج ١١ / ص ٢٨ وص ٣٢ وص ٤١ من الطبعة الجديدة.

(٢) البقرة / ٢١٣، والنساء / ١٦٥.

(٣) بحار الأنوار / ج ١١ / ص ٣٢ من الطبعة الجديدة.

(٤) مريم / ٥١ و ٥٤.

(الرسول) اضافة الى عدم وجود دليل على اختصاص الامر بإبلاغ الوحي بالرُّسل.

وورد في بعض الروايات أنَّ مقتضى مقام النبوة أن يرى صاحبها ملك الوحي في النوم، وأن يسمع صوته في اليقظة، بينما صاحب مقام الرسالة يشاهد ملك الوحي في اليقظة أيضاً^(١).

ولكنَّ هذا الفرق لا يمكن حمله على مفهوم اللفظ، وعلى كلِّ حال فالذي يمكن تقبُّله أنَّ النبيَّ من حيث المصداق (لا المفهوم) أعمُّ من الرسول، أي أنَّ الأنبياء جميعاً كانوا يملكون مقام النبوة، وأمَّا مقام الرسالة فهو مختصُّ بجماعة منهم، وعدد الرسل وفق الرواية السابقة (ثلاثمئة وثلاثة عشر) وبطبيعة الحال يكون مقامهم أسمى من مقام سائر الأنبياء كما أنَّ الرُّسل لم يكونوا متساوين من حيث الدرجة والفضيلة^(٢)، وقد نال بعضهم مقام (الإمامة) أيضاً^(٣).

الانبياءُ أُولو العزم

عبر القرآن الكريم عن جماعة من الأنبياء بأنَّهم (أُولو العزم)^(٤) ولكن لم يحدّد خصائصهم. ويُستفاد من روايات أهل البيت (ع) أنَّ عدد الأنبياء أُولي العزم خمسة، وهم بحسب الترتيب الزمني: نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمَّد بن عبد الله (عليهم الصلاة والسلام)^(٥)، والميزة التي تميّزهم عن سائر الأنبياء، إضافة للصبر والاستقامة المتميِّزة التي تمتّعوا بها، وأشير إليها في القرآن الكريم هي: إنَّ لكل واحد منهم كتاباً وشرعة مستقلة، وقد اتبع

(١) أصول الكافي/ج ١/ص ١٧٦.

(٢) البقرة/٢٥٣، والإسراء/٥٥.

(٣) البقرة/١٢٤، والأنبياء/٧٣، والسجدة/٢٤.

(٤) الاحقاف/٣٥.

(٥) بحار الانوار/ج ١١/ص ٣٣ - ٣٤، ومعالم النبوة/ص ١١٣.

شريعته الانبياء المعاصرون له، أو المتأخرون عنه، حتى يُبعث نبي آخر من أولي العزم بالرسالة، ويأتي بكتاب وشريعة جديدة.

ومن خلال ذلك اتضح أنَّ من الممكن اجتماع نبيين في زمان واحد، كما عاصر لوط إبراهيم (ع)، وهارون موسى (ع)، ويحيى عيسى (ع)، في زمان واحد.

ملاحظات

في نهاية هذا الدرس نشير - بإيجاز - الى بعض الملاحظات ونقتصر على ذكر عناوينها، دون إطالة البحث عنها:

أ - إن أنبياء الله يصدّق بعضهم بعضاً، ويبشّر السابق منهم ببعثة النبيّ اللاحق^(١)، ومن هنا، فإنّ الذي يكذّبه الأنبياء السابقون أو المعاصرون له يُعتبر كاذباً.

ب - إن أنبياء الله لم يطلبوا الأجر على ممارسة وظائف النبوة ومهامها من الناس^(٢)، ونبيّ الاسلام (ص) لم يطلب من أمته أجراً لرسالته إلاّ ايضاءهم بالموّدة لأهل بيته^(٣)، ليؤكّد أكثر على اتّباعهم والتمسّك بهم، وفي الواقع إنّ فوائد ومعطيات هذه الوصيّة تعود للأمة نفسها^(٤).

ج - كان لبعض أنبياء الله مناصب الهيّة أخرى أمثال القضاء والحكم، ويمكن أن نذكر من جملة هؤلاء الأنبياء السابقين داود وسليمان (ع)، ويمكن أن يستفاد من الآية (٦٤) من سورة النساء - التي فرضت الاطاعة لكلّ رسول بصورة مطلقة - أنّ الرسل جميعاً كانوا يتمتّعون بأمثال هذه المناصب.

د - إنّ بعض الجنّ - وهم نوع من المخلوقات المختارة والمكلّفة، ولا

(١) آل عمران/ ٨١.

(٢) الانعام/ ٩٠، ويس/ ٢١، والطور/ ٤٠، والقلم/ ٤٦، ويونس/ ٧٢، وص/ ٨٦، وهود/ ٢٩ و ٥١، والفرقان/ ٥٧، والشعراء/ ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠، ويوسف/ ١٠٤.

(٣) الشورى/ ٢٣.

(٤) سبا/ ٤٧.

يمكن للبشر رؤيتهم في الظروف العادية - اطلعوا على دعوة بعض الأنبياء
الالهيين وقد آمن بهم بعض صلحائهم وأتقيائهم، وكان من بينهم أتباع
لموسى (ع) ومحمد (ص)^(١)، كما أن بعضهم كفروا بأنبياء الله أتباعاً
للسيطان^(٢).

(١) الاحقاف/ ٢٩ - ٣٢ .

(٢) الجن/ ١ - ١٤ .

الأسئلة :

- ١ - بين الحكم والاسباب من تعدد الأنبياء .
- ٢ - ما هي وظيفة الناس تجاه دعوة الأنبياء جميعاً وتعاليمهم؟
- ٣ - ما هي الحالة التي لا يلزم معها إرسال النبي الجديد؟
- ٤ - اذكر عدد الأنبياء والرسل .
- ٥ - ما الفرق بين النبي والرسول؟ وما هي النسبة بينهما من حيث المفهوم، ومن حيث المصداق؟
- ٦ - بأي المناصب الالهية يفضل بعض الأنبياء على بعضهم الآخر؟
- ٧ - من هم الأنبياء أولو العزم؟ وما هي خصائصهم؟
- ٨ - هل يمكن تعدد الأنبياء في زمان واحد؟ وإذا كان ذلك ممكناً فاذكر بعض النماذج والأمثلة .
- ٩ - ما هي الصفات الأخرى للأنبياء الألهيين؟
- ١٠ - ما هو موقف الجن من الأنبياء من حيث الكفر والايان؟